المنازلُ السّبعة للسّالكين إلى اللّه تعالى

التحقّق بالصّفات الإلهيّة

المحقّق الشّيخ حسن المصطفوي

تشكّل المرجعيّة القرآنيّة الأساسَ المتين الّذي بنى عليه الفقهاءُ العرفاء رؤاهم التّربويّة والأخلاقيّة لكلّ ما يتّصل بالشّعائر الّتي ينبغي اتّباعها للسّلوك السّليم إلى الحقّ تعالى.

في هذه المقالة للعلّامة الشيخ حسن المصطفوي، رحمه الله، رؤية تأصيليّة لمراتب السّير والسّلوك، وقد حدّدها في كتابه الموسوم (التّحقيق في كلمات القرآن الكريم) بسبعة منازل استناداً إلى الآية الكريمة:

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة:١١٢.

«شعائر»

لقد رتّب اللهُ عزَّ وجلَّ مراحل السّالكين إلى الله تعالى في سبعة منازل:

١- **منزل التّوبة**: وهو الرّجوع إلى الله تعالى من العصيان والخلاف، ومن التّعلُّق بالحياة الدّنيا، ومن الغَفلة والضّلال. وهذا أوّلُ منزلٍ للسّالك إلى الله تعالى، ولا بدّ له من العَزم والتّصميم والنّيّة الخالصة القاطعة، حتّى يخرج عن الخلاف والضّلال بالكلّيّة، ويتحقّق له التّوبة القاطعة من دون ترديدٍ وتَزلزلٍ ورَيب.

٢- **منزل العبوديّة المطلقة**: وهو التّذلُّل والتّعبُّد والإطاعة والاتّباع في جميع ما يريدُ الله ويأمرُ وينهى، حتّى يكون جميعُ أعماله وأقواله وأحواله وبرنامج أموره وظاهره وسرّه على طِبق حُكمِ الله تعالى، وعلى ما تقتضي وظائفُ العبوديّة، بحيث لا يُرى منه غير الطّاعة، ولا يشاهد منه غير الخضوع والتّذلُّل.

ويلزم للسّالك أن يجاهد في تثبيت آثار هذا المنزل والتّثبّت فيه حتّى لا يبقى له أدنى خلاف في سرّه وعلَنه، ويكون جميع جوارحه وأعضاء بدنه وقلبه في طاعة الله تعالى واتّباعه، قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذّاريات:٥٦، فإنّ عبادة الله تعالى والسَّير في طاعته واتّباعه هو سعادة العبد، وفيه صلاحُه وكمالُه، ويقابله الضّلال والانحراف عن الحقّ، واتّباعُ خطوات الشّيطان.

ما تقدّم هما مَنزلا عالم المُلك، ويليهما منازل القلب:

٣- **منزل الحَمْد**: ومرجعُه إلى رضى العبد وطُمَأنينة نفسِه في قِبال قضائه تعالى وحُكمِه تكوينيّاً وتشريعيّاً، وكَوْن الرّبّ تعالى ممدوحاً عنده من أيّ جهةٍ وصِفَة؛ من جهة صفاته الذّاتيّة وصفاته الفعليّة، ومن جهة أوامره ونواهيه وتكاليفه المتوجّهة إلى العبيد عامّةً أو خاصّة.

فإنّ العبد إذا توجّه إلى [أدرك] أنّ صلاحَه وسعادتَه وخيرَه في اتّباع الأحكام الإلهيّة وفي عبوديّة الربّ وإطاعته وسلوك مَرضاته، فإنه يعرف أنّ ما يريد الله تعالى ويقضي ويحكم ويُقدِّر إنّما هو خيرٌ وصلاحٌ للعبد، وما يريد إلّا إصلاحَ حاله، وتكميلَ نفسه، وإيصالَ الخير والرّحمة إليه. فهو محمودٌ في جميع فِعالِه وشؤونه، ليس في حُكمه وَهْن، ولا في عملِه ضعف، ولا في قوله خلاف، ولا في تدبيره اختلال، ولا يُتصوَّر له نقصٌ ولا حاجة، وهو غَنِيٌّ في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله.

فلا بدّ للعبد من تحقيق هذه الصّفات الإلهيّة ومعرفتِها واليقين بها، حتّى يكون مطمئنّاً [معها]، وحامداً له على كلّ حال، لا يبقى في نفسه أدنى درجةٍ من اضطرابٍ واعتراضٍ وترديد.

فتَحقُّق هذه الصّفة وتثبُّتُها في سرّ السّالك إنّما يكون بعد تثبُّت العبوديّة، وما لم يتثبّت في هذا المنزل: لا يُتوقَّع له الارتقاءُ إلى منزلٍ أعلى.

٤- **منزل السّياحة**: وهو سَيرٌ معنويٌّ وحركةٌ روحيّةٌ في الأسماء والصّفات والتّجلّيات الإلهيّة، وتحصيلُ المعرفةِ بالحقائق والمعارف اللّاهوتيّة بتَهذيب النّفس وتَزكيَتِها وتسليمِها، ورفع الحُجُبِ بتأييد الله المتعال وحَوْلِه وقوّته، ولُطفِه وعنايتِه وَتوفيقِه.

وهذا المعنى إنّما يتحقّق بالاتّصاف بالصّفات العُليا الإلهيّة، والتّمكُّن في حضرَتها، والتّثبّت في ساحتها، والتّخلُّق بحقائقها. وحينئذٍ تتجلّى له حقائقُ الأسماء والصّفات، ويستعدّ لإدراكها. وهذا المنزل يُعبَّر عنه بـ«السّفر في الحقّ بالحقّ».

٥- **منزل الرّكوع**: وفيه يتحقّقُ الخضوعُ والخشوعُ التّامُّ للسّالك في قِبال عظَمة اللّاهوت وجلالِ الله وجَمالِه الأبهى، وترتفعُ الأنانيّة، ويركعُ لله بظاهرِه وباطنِه وفي جميع أعماله وأحواله.

وأمّا المنزلان الأخيران، فهما منزلُ العقل، والمقام الجامع:

٦- **منزل السّجود**: وفيه يتحقّق مقامُ المَحْو والفناء الصِّرف، ولا يبقى من وجودِه أثرٌ، ولا يَرى إلّا اللهَ، وفيه تتجلّى حقيقةُ الإخلاص.

٧) **منزل السّفر إلى الخَلق**: وهو المعبَّر عنه بقوله تعالى: ﴿..ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ..﴾، وهذه الجُمَلات [الجُمل] بمنزلةِ جملةٍ واحدة، وإشارةٌ إلى منزلٍ واحد، بقرينة العطف بالواو.

وفي هذا المنزل - بعد الفناء الصّرف وتجلّي الإخلاص - يستعدُّ السّالكُ لأن يكونَ واسطةً بين الخَلق والخالق بولايةٍ عامّة أو خاصّة.

فهذه سبعةُ منازلَ للسّالك إلى الله العزيز: مَنزلان منها في عالم المُلك ويتعلّقان بالبَدن، وهما التّوبة والعبادة. وثلاثةُ منازلَ منها تتعلّق بالقلب وعالَم الملكوت، وهي الحمد، والسّياحة، والرّكوع. وواحدٌ منها يتعلّق بعالَم الجبروت والعقل وحكومة اللّاهوت وهو السّجود. والمنزل الأخير مقامٌ جامع، وفيه تَتجلّى حقيقةُ الإنسان وكمالُه.

وهذا هو المرادُ من الإنسانِ الكامل، كما أنّ المنزلَ السّادس يُعبَّر عنه بمقام الوصول واللّقاء ورفْع الحُجُب. وقد أُشير إلى هذه المنازل الستّة بقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ الكهف:١١٠.

***

[أمّا قولُه تعالى]: ﴿..أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ التحريم:٥، فالآيةُ الكريمةُ في توصيف الأزواج من حيث كونهنّ أزواجاً، وهذه الأوصاف بالتّرتيب المذكور صفاتٌ كماليّةٌ مُحَسِّنَةٌ لهنّ، وآخرُها السّياحةُ بعد كَونهنّ عابدات، والمرادُ كونهنّ في صدد النّظر والتّفكُّر والتّحقيق في المعارف الإلهيّة والعقائد الدّينيّة وكيفيّة تهذيب النّفس.

> **«منازلُ السّلوك إلى الله تعالى سبعة: مَنزلان منها يتعلّقان بالبَدن، وثلاثةٌ بالقلب، وواحدٌ بالعقل، والمنزل الأخير مقامٌ جامع، وفيه يتجلّى كمالُ الإنسان.»**

فالسّياحةُ في مقام الزّواج آخِرُ منزلٍ يفيد ويؤثّر في كماله وتمامه. وأمّا الرّكوع والسّجود والأمر بالمعروف: فغير مفيدةٍ في مقام الزّواج من حيث الزوجيّة، بل قد تُنافي حقوق الزّوجيّة، وعلى هذا لم تُذكَر في المَورد.

وأمّا عدمُ ذِكر صفات الإسلام والإيمان والقنوت في عِداد منازل السّالكين في الآية السّابقة [الآية ١١٢ من سورة التّوبة]: فإنّ السّلوك إنّما يُبتدأ به من منزل التّوبة، وأمّا مراحلُ الإسلام والإيمان والقنوت الظّاهريّة الأوّليّة: فهي مقدّمة للسّلوك إلى الله تعالى، والسّير إنّما يُبتدأ به من التّوبة. فإنّ السّير إنّما يتحقّق بعد التّثبّت والتّهيّؤ، وهذه الصّفات للتّهيّؤ.

التّعلّم الإنسانيّ، والتّعلّم الرّبانيّ

عِلمُ المعصوم أسْمَى أنواع العلوم

الفقيه العارف السّيّد حيدر الآمليّ رحمه الله

تحت عنوان: «حصول العلم من طريقَين: التّعلُّم الإنساني والتّعلُّم الرّبّانيّ»، كتب الفقيه الجليل والفيلسوف الإلهيّ السّيّد حيدر بن عليّ الآمليّ (ت: ٧٨٢ للهجرة) في تحليلٍ نوعيّ لهذَين الطريقَين من التّعلّم، مقدِّماً الأدلّة على مراتب العلم وأقسامه، منتهياً إلى أنّ علم المعصوم عليه السّلام هو أسمى أنواع العلوم.

كلامُه هذا، جاء في تفسيره المعروف باسم (المحيط الأعظم والبحر الخَضَمّ)، وقد اخترناه من الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

«شعائر»

اِعلم أنّ العلمَ الإنسانيّ يحصل من طريقَين: أحدهما التّعلُّم الإنسانيّ، والثّاني التّعلُّم الرّبّانيّ.

أمّا الطّريق الأوّل وهو التّعليم الإنسانيّ، فطريقٌ مشهور مسلوك محسوس يُقِرّ به جميع العقلاء، وهذا العلم يكون على وجهَين:

أحدهما: من الخارج وهو التّحصيل بالتّعلّم.

والآخر: من الداخل وهو التّحصيل بالتّفكّر.

والتّفكّر من الباطن بمنزلة التّعلُّم من الظّاهر.

فإنّ التعلُّم هو استفادة الشّخص من الشّخص الجزئيّ. والتّفكّر هو استفادة الرّوح من النّفس الكلّيّ، والنّفس الكلّيّ أشدّ تأثيراً وأقوى تعليماً من جميع العلماء والعقلاء.

والعلوم مركوزة في أصل النّفوس بالقوّة كالبذر في الأرض، والجوهر في قعر البحر وفي قلب المعدن، والتّعلُّم هو طلب خروج ذلك الشّيء الّذي بالقوّة إلى الفعل، والتّعليم هو إخراجه من القوّة إلى الفعل، فنفسُ المتعلِّم تتعلَّم بنفس العالم وتتقرّب إليها بالنّسبة بها.

فالعالم بالإفادة كالزّارع، والمتعلِّم بالاستفادة كالأرض، والعلم الّذي بالقوّة كالبذر، والّذي بالفعل كالنّبات، وإذا كملت نفس المتعلِّم تكون كالشّجر المثمر وكالجوهر الظّاهر من قعر البحر.

وإذا ظهرت [غلبت] القوى البدنيّة على النّفس يحتاج المتعلِّم إلى زيادة التّعلُّم وطول المدّة، ويحتمل المشقّة والتّعب في طلب الفائدة، وإذا غلب (ظهر) نور العقل على أوصاف الحسّ، يستغني الطالب بقليل الفكر عن كثرة التّعلُّم، فإنّ نفس العاقل تجد من الفوائد بتفكُّر ساعة ما لا تجد نفس الجاهل بتعلُّم سنة.

فبعض النّاس، إذاً، يحصّلون العلوم بالتّعلُّم وبعضهم بالتّفكُّر، والتّعلُّم يحتاج إلى التّفكُّر، فإنّ الإنسان لا يقدر أن يتعلَّم جميع الأشياء من الجزئيّات والكلّيّات وجميع العادات، بل يتعلَّم شيئاً ويَستخرج بالتّفكّر من العلوم شيئاً [آخَر]، وأكثر العلوم النّظريّة والصّنائع العمليّة استَخرجَتها نفوسُ الحكماء بصفاء ذهنهم، وقوّة فكرهم، وحدّة حَدسِهم، من غير زيادة تعلُّمٍ وتحصيل، ولولا أنْ يستخرج العالِمُ بالتّفكّر شيئاً من معلومه الأوّل لكان يطولُ الأمر على النّاس، ولَمَا كانت تزول ظلمةُ الجهل عن القلوب، لأنّ النّفوس لا تقدر أن تتعلَّم جميع مهمّاتها الجزئيّة والكلّيّة بالتّعلُّم، بل بعضها تتعلَّمُه بالتّحصيل وبعضها تتعلَّمُه بالنّظر، كما ترى عادات النّاس في الأمور المستحسنة، وبعضها تستخرجه عن ضميره بصفاء الفكر.

وعلى هذا جرت عادة العلماء (وصارت) قاعدة العلوم، حتّى إنّ المهندس لا يتعلّم جميع ما يحتاجُ إليه في طول عمره، بل يتعلَّم كلّيّات علمِه وموضوعات فنّه، ثمّ بعد ذلك يَستخرج و...

وكذلك الطّبيب، لا يقدر أن يتعلَّم جزئيّات أدواء الأشخاص وأدويتهم، بل يتفكّر في معلوماته الكلّيّة ويعالج كلَّ شخصٍ بحسب مزاجه.

وكذلك المُنجّم، يتعلّم كلّيّات النّجوم، ثمّ يتفكّر ويحكم الأحكام المختلفة.

وكذلك الفقيه والأديب، وهكذا في بدائع الصّنائع، فواحدٌ وضع آلة الضّرب، وهو العود، بتفكّره، وآخَر استَخرج من تلك الآلة آلةً أخرى، وكذلك جميع الصّنائع البدنيّة والنّفسانيّة أوائلها مُحصَّلة من التّعلُّم، والبواقي مُستخرَجة بالتّفكّر، وإذا انفتح باب التّفكّر على النّفس، وعلمت كيفيّة طريقه وكيفيّة الرّجوع بالحدس إلى المطلوب، ينشرح قلبه [الضّمير عائد إلى صاحب النّفس] وتنفتح بصيرته، فيخرج ما في نفسه بالقوّة إلى الفعل من غير زيادة تعبٍ وطولِ نَصَب.

التّعلُّم الرّبانيّ بالوحي والإلهام

الطّريق الثّاني، وهو التّعلُّم الرّبّانيّ، وذلك على وجهَين:

الأوّل: إلقاء الوحي، وهو أنّ النّفس إذا كَملت ذاتُها، وزال عنها دَرَن الطّبيعة ودنَس الحرص والأمل والافتخار، وانفصل نظرُها عن شهوات الدّنيا، وانقَطَع نسبُها عن الأماني الفانية، أقبلَت بوجهها على بارئها ومُنشِئها، وتمسّكت بِجُود مُبدِعِها، واعتَمَدت على إفادته وفيضِ نوره، فالله عزَّ وجلَّ بِحُسنِ عنايته يُقبِلُ على تلك النّفس إقبالاً كلّيّاً وينظر إليها نظراً إلهيّاً، ويتّخذ من تلك النّفس لوحاً، ومن النّفس الكلّيّ (العقل) قَلَماً، وينقش فيها جميع علومه، ويَصير العقلُ الكلّيّ كالمعلِّم، والنّفسُ القدسيّ كالمتعلِّم، فتحصل جميع العلوم لتلك النّفس، وتنقش فيها جميع الصُّور من غير تعلُّمٍ وتفكُّر، ومصداق هذا قول الله عزّ وجلّ لنبيّه صلّى الله عليه وآله: ﴿..وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النّساء:١١٣.

فعِلمُ الأنبياء أشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق، لأنّ محصوله عن الله تعالى بلا واسطةٍ، ووسيلةٍ، وبيان.

هذه الكلمة توجد في قصّة آدم عليه السّلام والملائكة؛ فإنّهم تعلّموا طول عمرهم وحظوا بفنون الطّريق وكثير العلوم، حتّى صاروا أعلم المخلوقات وأعرف الموجودات، وآدم لمّا جاء ما كان عالماً، لأنّه ما تعلّمه، [و] لأنّه ما رأى معلّما، فتفاخرت عليه الملائكة ".." وقالوا [لله تعالى]: ﴿..وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ..﴾ البقرة:٣٠، ونعلم حقائق الأشياء، فرفع آدم إلى باب خالقه، وأخرج محبّته عن جملة المكوّنات وأقبل بالاستعانة على الرّبّ تعالى، فعلّمه الأسماء كلّها، ثمّ عرضهم على الملائكة فقال: ﴿..أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ البقرة:٣١.

فصغر حالهم عند آدم وقلّ علمهم ".." فغرقوا في بحر العجز، وقالوا: ﴿..لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ..﴾ البقرة:٣٢.

فقال تعالى: ﴿..يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ..﴾ البقرة:٣٣، فأنبأهم آدم عن مكنونات العلم ومستترات الأمر.

> **النّفس إذا كَملت ذاتُها، وزال عنها دَرَن الطّبيعة ودنَس الحرص والأمل والافتخار، وانفصل نظرُها عن شهوات الدّنيا، وانقَطَع نسبُها عن الأماني الفانية، أقبلَت بوجهها على بارئها ومُنشِئها.**

> **العلم الحاصل من الوحي يُسمّى علماً نبويّاً، والّذي يتحصّل عن الإلهام يسمّى علماً لدنّيّاً. والعلم اللّدُنّيّ هو الّذي لا واسطة في حصوله بين النّفس والباري تعالى، وإنّما هو كالضّوء في سراج الغَيب.**

فتقرّر الأمر عند العقلاء أنّ العلم العينيّ المتولِّد عن الوحي أقوى وأكمل من العلوم المُكتَسَبة، وصار علمُ الوحي إرثَ الأنبياء وحقّ الرّسل عليهم السّلام، حتّى أغلق الله سبحانه باب الوحي في حقّ [بعد] محمّد صلّى الله عليه وآله، فكان رسول الله خاتَم النّبيّين، وكان أعلم النّاس وأفصح العرب، وكان يقول: «**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي**»، وقال لقومه: «**أَنَا أَعْلَمُكُم بِاللهِ وأَخْشَاكُم مِن الله**».

وإنّما كان علمه أكمل وأشرف وأقوى لأنّه حصل من التّعلُّم الرّبّانيّ، وما اشتَغل قطّ بالتّعلُّم الإنسانيّ؛ فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ النّجم:٥-٧.

معنى الإلهام والعِلم اللَّدنيّ

الوجه الثّاني: هو الإلهام، وهو تنبيه النّفس الكلّيّ للنّفس الجزئيّ الإنسانيّ على قدر صفاته، وقبوله، وقوّته، واستعداده.

والإلهام أثر الوحي، فإنّ الوحي تصريح [بـ] الأمر الغيبيّ، والإلهام تعريضه [بمعنى الإيحاء به]، والعِلم الحاصل من الوحي يُسمّى علماً نبويّاً، والّذي يتحصّل عن الإلهام يسمّى عِلماً لدنّياً.

والعلم اللّدُنّيّ هو الّذي لا واسطة في حصوله بين النّفس والباري تعالى، وإنّما هو كالضّوء في سراج الغَيب؛ يقع على قلبٍ صافٍ لطيفٍ فارغ، وذلك أنّ العلوم كلّها موجودة في جوهر النّفس الكلّيّ الأزليّ، الّذي هو من الجواهر المفارقة الأوّليّة المَحْضة، وهو بالنّسبة إلى العقل الأوّل كنسبة حوّاء إلى آدم، وقد تبيّن أنّ العقل الكلّيّ أشرف وأكمل وأقوى وأقرب إلى الباري تعالى من النّفس، والنّفس الكلّيّ أعزّ وألطف وأشرف من سائر المخلوقات.

فمن إفاضة العقل الكلّيّ يتولّد الوحي، ومن إشراف النّفس الكلّيّ يتولد الإلهام، والوحي حِلْية الأنبياء، والإلهام زينة الأولياء، وكما أنّ النّفس دون العقل، والوليّ دون النّبيّ، فكذلك الإلهام دون الوحي، فهو ضعيف بنسبة الوحي، قويّ بنسبة الرّؤيا، والعلم اللّدنّيّ علم الأنبياء والأولياء، وأمّا علم الوحي فخاصّ بالرّسل، موقوفٌ عليهم، كما كان لآدم عليه السّلام، وإبراهيم، وموسى، ومحمّد، عليهم السّلام، وغيرهم من الرُّسل.

الفرق بين الرّسالة والنّبوّة

وفرقٌ بين الرّسالة والنّبوّة، فإنّ النّبوّة هي قبول النّفس القدسيّ حقائق المعلومات والمعقولات عن جوهر العقل الأوّل، والرّسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات إلى المستفيدين والتّابعين، وإنّما يتّفق القبول لنفسٍ من النّفوس، ولا يتأتّى لها التّبليغ لِعذرٍ من الأعذار وسببٍ من الأسباب، والعلم اللّدنّيّ يكون لأهل النّبوّة والولاية، كما حصل للخضر عليه السّلام حيث أخبر الله تعالى، فقال: ﴿..وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الكهف:٦٥.

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام عن [العلوم التي خصّه بها رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولقّنه إيّاها] «.. **فَانْفَتَحَ فِي قَلْبِي أَلفُ بابٍ مِنَ العِلْمِ، مع كُلِّ بابٍ ألفُ باب**».

وقال أيضاً: «**لَوْ ثُنِيَت لِي وسادةٌ لَجَلَسْتُ عَلَيْها، وَحَكَمْتُ لِأَهْلِ التَّوْراةِ بِتَوْراتِهِم، وَلِأَهْلِ الإنْجِيلِ بِإنْجِيلِهِم، وَلِأَهْلِ الزَّبُورِ بِزَبُورِهِم، وَلِأَهْلِ الفُرْقانِ بِفُرْقانِهِم**».

ظهور أسرار المكنونات

حين يَرتفعُ الحجاب بين نفس العبد والنّفس الكلّيّة، تظهر فيها [في الأولى] أسرارُ المكنونات، وهذه المرتبة لا تُنال بمجرّد التّعلُّم الإنسانيّ، بل يتمكّن المرءُ في هذه المرتبة بقوّة العلم اللّدنّيّ، كذلك قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «**إنَّهُ حُكِيَ عَنْ وَلِيِّ عَهْدِ مُوسى أَنَّهُ شَرَحَ كِتابَهُ فِي أَرْبَعِينَ حِمْلاً، فَلَوْ يَأْذَنُ اللهُ لِي لأَشْرَعَ فِي شَرْحِ مَعانِي أَلِفِ (الفاتحة)، حتّى يَبْلُغَ مِثْلَ ذَلِكَ، لَفَعَلْت**».

يعني أربعين وِقراً، وهذه الكثرة والسّعة والانفتاح في العلم لا تكون إلّا لدنّياً إلهيّاً سماويّاً.

فلو أراد اللهُ بعبدٍ خيراً رَفَعَ الحجابَ بين نفسه وبين النّفس الكلّيّ الّذي هو اللّوح، فتظهر فيها أسرار المكنونات، وتنتقش فيها معاني تلك المكوّنات، فتعبّر النّفس عنها كما تشاء إلى مَن يشاء من عباده، وحقيقة الحكمة تُنال من العلم اللّدنّيّ، وما لم تبلغ النّفس هذه المرتبة لا يكون حكيماً، لأنّ الحكمة من مواهب الله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ البقرة:٢٦٩.

وأولوا الألباب هم الواصلون إلى مرتبة العلم اللّدنّيّ، المستغنون عن التّحصيل وتعب التّعلُّم، فيتعلّمون قليلاً ويعلمون كثيراً، ويتعبون قليلاً ويستريحون كثيراً.